التكافل الاجتماعي في فكر الامام علي ابن ابي طالب υ
(٣٥هـ - ٤٠هـ/ ٦٥٥م – ٦٦٠م)

أ.د. انتصار لطيف حسن ال

أ.د. رحيم حلو محمد البهادلي

جامعة البصرة – كلية التربية للبنات جامعة كربلاء

كلية التربية للعلوم الانسانية

rahiemhiloo@yahoo.com

يتناول هذا البحث دراسة سبل التكافل والتعاون الاجتماعي التي كان يقدمها امير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام إلى الفقراء والمحتاجين من ابناء المجتمع العربي والإسلامي ومن الذين ضاقت بهم سبل العيش مع التركيز على طرق ذلك التكافل وسبله من حيث تنوعه ما بين مساعدات معنوية ومساعدات نقدية وأخرى مساعدات عينية وتبيان اثر تلك السياسة على تلك الطبقات الفقيرة والمحتاجة

Social solidarity in the thought of Imam Ali bin Abi Talib (peace be upon him)

This study deals with the ways of solidarity and mutual cooperation that was offered by the Commander of the Faithful Ali bin Abi Talib to the poor and needy people of the Arab and Islamic society and those who narrowed their livelihoods with a focus on the ways of this interdependence and its variety in terms of its variety between moral assistance and cash and other assistance In-kind assistance and to demonstrate the impact of that policy on those poor and needy classes.

الكلمات المفتاحية

التكافل- الاجتماعي- فكر -علي بن ابي طالب

المقدمة :

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله رب العالمين ، نحمده ونستعينه ، ونستهديه ، ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات اعمالنا ، من يهده فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، والصلاة والسام عليه وعلى آل بيته الاشراف الاطهار .

وبعد ..فقد حرص الإمام علي ابن ابي طالب υ خلال مدة حكمه(٣٥هـ - ٤٠هـ/ ٦٥٥م - ٦٦٠م) للدولة العربية الإسلامية على تحقيق مجتمع متعاون مترابط متوازن بين مختلف فئات المجتمع دون خلل او تقصير ، حتى يشعر كل فرد بعضويته الكاملة في المجتمع ويقوم بعمل ما عليه من واجبات وينهض بأعبائه ، ويكمن وراء تلك السياسة فلسلفة معينة ، إذ لا شك ان امير المؤمنين كان يهدف من وراء ذلك تحقيق العدالة بين عموم المسلمين ، وعلى الا يكون بينهم من يعاني من الفقر والفاقة والعوز المادي ، وتنفيذا لوصايا الباري عز وجل بذلك الصدد كما جاء في نصوص القرآن ، وانتهاجا بوصايا رسول الله (ص) في مساعدة الفقراء والمحتاجين ، وكما سيرد ذكره في الصفحات القليلة القادمة ، وسوف نتناول ذلك الموضوع على النحو الاتي :

المطلب الأول: مفهوم التكافل الاجتماعي في الإسلام

اولاً: تعريف التكافل الاجتماعي

أ- التكافل في اللغة: تعني الضم والرعاية وتحمل مؤونة الانفاق والضمان [١]

وتأتي كلمة كفل عل معاني متعددة وهي:

١- الكِفلَ: بمعنى النصيب وبمعنى الضعف وبمعنى المثل, قال تعالى (**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ**) [٢] .

٢- الكفيل: بمعنى الشاهد والرقيب قال تعالى: (**وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا**) [٣].

٣- الكافل: تأتي بمعنى العائل. قال تعالى (**وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا**) [٤], وتأتي بمعنى الضامن .قال تعالى : (**إِذْ يُلْقُونَ أَقْلاَمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ**) .[٥]

ب -التكافل الاجتماعي في الاصطلاح

يقصد بها تعاون أبناء المجتمع على تحقيق الخير ودفع الجور يقول محمد أبو زهرة معرفاً التكافل الاجتماعي في الاصطلاح ((يقصد بالتكافل الاجتماعي في معناه اللفظي ان يكون احاد الشعب في كفالة جماعتهم وان يكون لكل قادر او ذي سلطان كفيلاً في مجتمعه يمده بالخير وان تكون كل القوى الإنسانية في المجتمع متلاقية في المحافظة على مصالح الاحاد ودفع الاضرار ثم المحافظة على دفع الاضرار عن البناء الاجتماعي واقامته على أسس سليمه)) [٦]

ويعرف عبد الله علوان التكافل الاجتماعي قائلاً: ((ان يتضامن أبناء المجتمع ويتساندوا فيما بينهم سواء أكانوا افراداً او جماعات او محكومين على اتخاذ مواقف إيجابية كرعاية اليتيم او سلبية كتحريم الاحتكار بدافع من شعور وجداني عميق ينبع من اصل العقيدة الإسلامية ليعيش الفرد في كفالة الجماعة ويعيش الجماعة بمؤازرة الفرد حيث يتعاون الجميع ويتضامنون لإيجاد المجتمع الأفضل ودفع الضرر عن افراده)) [٧].

ثانياً: **التكافل الاجتماعي في القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف**

أ- الايات القرانية الواردة في معنى التكافل الاجتماعي عديدة منها:-

١- قال الله تعالى : (**يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ** قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ)[٨].

٢- قال تعالى : (**إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُ**) [٩]

٣- قال تعالى: (**هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ**)[١٠]

٤- قال تعالى: (**إِنَّ هذا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ** واحِدَةٌ فَقالَ أَكْفِلْنِيها)[١١]

٥- قال تعالى: (**وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ**ۖ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ)[١٢]

٦- قال تعالى: (لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ وَالْكِتابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمالَ عَلى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبى وَالْيَتامى وَالْمَساكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقابِ وَأَقامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذا عاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْساءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ) [١٣]

٧- قال تعالى عز وجل : (**وَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا**)[١٤]

٨- قال الله تعالى: (**وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ**و يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ)[١٥]

٩- وقال تعالى: (**وَيُطْعِمُونَ الطَّعَام عَلَى حُبّه مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرً**)[١٦]

١٠- قال تعالى: (مَّا أَفَاءَ[١٧] اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰوَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ))[١٨]

ب- الاحاديث النبوية الواردة في معنى التكافل الاجتماعي منها:

١- قال رسول الله ε : ((انا وكافل اليتيم كهاتين في الجنة وأشار بالسبابة والوسطى وقرن بينهما قليلاً))[١٩]

٢- قال رسول الله ε : ((المرأة ان قتلت عمداً لا تقتل حتى تضع ما في بطنها ان كانت حاملاً, وحتى تكفل ولدها))[٢٠]

٣- قال رسول الله :ε ((الامام ضامن والمؤذن مؤتمن))[٢١]

٤- قال رسول الله ε : ((اللهم إني احرج حق الضعيفين اليتيم والارملة))[٢٢]

٥- قال رسول الله :ε ((من عال ثلاث بنات فأدبهن ورحمهن واحسن اليهن فله الجنة))[٢٣]

٦- قال رسول الله ε : ((ان على المسلمين في فيئهم ان يغادوا اسيرهم ويؤدوا عن غارمهم)) [٢٤]

٧- قال رسول الله ε : ((من كف لضرير حاجة من حوائج الدنيا ومش له فيها حتى يقضى الله حاجته, أعطاه الله براءة من النفاق وبراءة من النار وقضى له سبعين حاجة من حوائج الدنيا ولا يزال يخوض في رحمة الله تعالى حتى يرجع)) [٢٥].

٨- قال رسول الله :ε ((ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويوقر كبيرنا))[٢٦]

٩- قال رسول الله ε : ((عليكم بالتواصل والتبادل واياكم والتقاطع والتحاسد والتدابر وكونوا عباد الله اخوانا, فأن المؤمن اخو المؤمن لا يخونه ولا يخذله ولا يحقره ولا يقبل عليه قول مخالف له))[٢٧]

١٠- قال رسول الله ε : ((يا أيها الناس افشوا السلام, واطعموا الطعام, وصلوا الارحام, وصلوا بالليل والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام))[٢٨]

المطلب الثاني: أنواع التكافل الاجتماعي

للتكافل الاجتماعي في الإسلام أنواع عديدة هي:

١- التكافل العبادي

أن تكافل المجتمع الإسلامي وتعاونه في أداء بعض العبادات والشعائر الجماعية هو ما يعرف بالتكافل العبادي. يقول الدكتور مصطفى السباعي: ((هناك في الإسلام شعائر وطاعات يجب ان يقوم بها المجتمع ويحافظ عليها بمجموعة تسمى بفروض الكفاية في العبادات كصلاة الجنازة))[٢٩]

٢- التكافل الأخلاقي

يقصد بالتكافل الأخلاقي حراسة المبادئ الأخلاقية النابعة من عقيدة المؤمنين وتحمل كل فرد في المجتمع مسؤولية تصرف يسيء الى المجتمع, لذا وجب على المسلمون ان يشتركوا في الحفاظ على المجتمع وان يكونوا حراساً عليه بأنكار المنكرات الخلقية وغيرها[٣٠] , وان الآيات القرآنية والاحاديث النبوية كثيرة التي تدعوا إلى التكافل الأخلاقي كثيرة من ذلك قوله تعالى :((**وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ**)) [٣١], وقال الرسول ε : (من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وذلك اضعف الايمان))[٣٢]

٣- التكافل الادبي

وهو شعور كل فرد نحو إخوانه في الدين بمشاعر الحب والعطف وحسن المعاملة ويتعاون معهم في سراء الحياة وضرائها, ويتمنى لهم الخير, ويكره ان ينزل الشر بهم, وقد دلَّ على ذلك المعنى قول الرسول ε ((لا يؤمن احدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه))[٣٣]

٤- التكافل الاقتصادي

ويقصد به هو ان يتعاون الجميع في المحافظة على ثروات الامة, ويعمل المجتمع على حفظ ثروات الأفراد من الضياع والتبذير , كما يمنع سوء استعمال الاقتصاد من التلاعب بالأسعار والغش في المعاملات والاحتكار[٣٤],

٥- التكافل المعاشي

ويعني به ؛ الزام المجتمع بكفالة ورعاية أحوال الفقراء والمرضى والمحتاجين, ويسمى هذا النوع من التكافل بالمعاشي لأنه يتعلق بكفالة المجتمع لمعيشة هؤلاء معيشة كريمة تليق بكرامة الانسان[٣٥]

٦- التكافل الدفاعي

يؤكد هذا التكافل على ضرورة تضامن جميع أبناء الامة الإسلامية ووقوفهم معاً من اجل مقارعة الظلم والبغي والدفاع عن العرض والدين والمال والأرض, وتحقيق الامن والاستقرار, وان تكون المشاركة فعلية في الحرب أو بالدعم بالأموال, وأنفاقها على المقاتلين, او تقديم الطعام وتجهيز المقاتلين بمستلزمات القتال كقوله تعالى: (**وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ** فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ) [٣٦].

٧- التكافل الجنائي

وهو مسؤولية الجماعة متضامنة عما يقع من الجرائم الاجتماعية, فالقاتل عمداً يقتل الّأ ان يعفو اهل القتيل ويأخذوا الديّة وكذلك القاتل خطأ تلزمه الديّة وهذه الدية التي تلزم القاتل في الحالتين ولا تجب عليه

وحده وانما يتضامن معه اهله واقاربه كل ذلك يتم في حالة معرفة القاتل, واما اذا جهل فأن أولياء الدم يتحملون دية القتيل فأن عجزوا او جهل مكان القتل فان الدية على بيت المال[٣٧]

٨- التكافل العلمي

فالتكافل العلمي هو ان يعلم العالم الجاهل, وعلى الجاهل ان يتعلم من العالم, وجعل الإسلام لكليهما اجراً وثواباً معاً[٣٨], قال الرسول ε : ((العالم والمتعلم شريكان في الاجر))[٣٩]

المطلب الثالث: الإمام علي υ ورعايته كرامة وحقوق الانسان

السلطة عند الامام علي υ ليست أداة لنيل الجاه والمجد لكنها صدق ونزاهة في التعامل مع الرعية, وعن دواعي تمسكه الشديد بالعدل يقول : ((يجب على السلطان ان يلزم العدل في ظاهر أفعاله لإقامة أمر سلطانه, وفي باطن ضميره لإقامة أمر دينه, فاذا فسدت السياسة ذهب السلطان, ومدار السياسة كلها على العدل والانصاف, فلا يقوم سلطان لأهل الأيمان والكفر إلا بهما, والامام العادل كالقلب بين الجوارح , تصلح بصلاحه, وتفسد بفساده)) [٤٠]

ووقف الامام علي υ بوجه امراء الشر والاستبداد قائلاً: ((وايم الله, لأنصفن المظلوم من ظالمه, ولأقودن الظالم بخزامته, حتى أورده منهل الحق وإن كان كارهاً)) [٤١].

وكان الامام علي υ يعتبر الحكم تكليف وليس تشريف, وخدمة وليس امتياز , والولاية للأمة وليس للحكم , فهم ينوبون عنها ويعملون على خدمتها, فقد كتب إلى ولاته قائلاً: ((فانصفوا الناس من أنفسكم واصبروا لحوائجهم, فأنكم خزّان الرعية, ووكلاء الامة وسفراء الائمة)) [٤٢]

ويرى الامام علي υ ان المجتمع متكون من عدة طبقات ترتبط ببعضها, وان الطبقة السفلى من المجتمع تضم المساكين والمحتاجين وشديدو الفقراء, وذوي العاهات او الامراض التي تمنعهم من الكسب, ويوصي الامام υ بهذه الطبقة, ففيهم السائل والمتعرض للعطاء بلا سؤال[٤٣]

ولقد تمسك الامام علي υ بقوة بالعدل والمساواة بين الجميع دون استثناء في أموالهم ومقتنياتهم[٤٤]. فنظرته تقوم على ان من له فضل وسابقة في الإسلام فان أجره عند الله في الاخرة, اما في معاش الدنيا فالناس على حد سواء[٤٥]. وعلى هذا الأساس اقدم نحو الإصلاح وتحقيق العدالة, تتمثل بالمساواة في العطاء بين المسلمين بلا تمايز.

وكان الامام υ يرى تكدس الثروات الضخمة وتعاظم الأموال بيد فئة قليلة, استفزازاً للمحرومين والمحتاجين من سواد الناس, وسبباً في تدهور العلاقات ، وبحسه الإنساني استشعر حالة المعاناة والحرمان لدى الشرائح الفقيرة. لذا نجده تعاطف معهم لأنهم الأكثر تضرراً وتعرضاً للظلم الاجتماعي فقال: ((ان الله سبحانه وتعالى فرض في أموال الأغنياء أقوات الفقراء, فما جاع فقير الا بما مُتع به غني, والله تعالى سائلهم عن

ذلك)) [٤٦], ويقول: ((من اتاه الله مالاً, فليصل به القرابة وليحسن منه الضيافة وليفك به الأسير والفاني وليعط منه الفقير والغارم(المدين))) [٤٧]

وكان الامام υ يمقت الفقر باعتباره عاملاً في تكدير المجتمع فيقول: ((الفقر هو الموت الأكبر, والفقر يخرس الفطن, عن حجته)) [٤٨] , نظرته هذه إلى الفقر باعتباره مرض اجتماعي, جعلته يعمل جاهداً على تخليص المجتمع منه فكان يوصي ولاته بالطبقة الدنيا التي تعاني شظف العيش والفاقة[٤٩] , وتوفير لهم حاجاتهم الأساسية, لحفظ كرامتهم. ويوجّه احد ولاته لمعاونة ذوي الحاجة المتعففين, والتكفل بإعالة الايتام والعجزة بقوله: ((فلا تشخص همّك عنهم ولا تصعّر خدك لهم, وتفقد أمور من لا يصل إليك منهم, ففرّغ لأولئك ثقتك من أهل الخشية والتواضع, فليرفع إليك أمورهم وتعهّد أهل اليُتم وذوي الرقّة في السن(كبار السن) ممن لا حيلة له ولا ينصب للمسألة ولا ينصُب للمسألة نفسه)) [٥٠]

وكان الامام علي υ يفوّض عماله القائمين على الصدقات, بالصرف لمن يستحق, ويطلب منهم ان يتقوا الله ويصونوا الأمانة ويخلصوا العمل [٥١]

الامام علي υ كان ينبه ولاته الى بعض الممارسات التي تهدم البناء الاجتماعي فيذمّ الاحتكار والجشع عند التجار قائلاً: ((وأعلم إن كثيراً منهم ضيّقاً فاحشاً وشحاً قبيحاً واحتكار للمنافع وتحكماً في البياعات وفي ذلك مضرة للعامة وعيب على الولاة, فامنع الاحتكار, فان رسول الله ε منعه, وليكن البيع بيعاً سمحاً بموازين عدل وأسعار لا تجحف بالفريقين من البائع والمبتاع, فمن قارف حكره بعدد نهيك إياه فنكّل به وعاقبه في غير إسراف)) [٥٢]

ومن أساليبه انه يطبق على نفسه ما ما يدعوا إليه, فقد كان يتشبّه في معيشته بالفئات الاجتماعية المحرومة, فعندما ألحّ عليه أصحابه, أن يأكل ما طاب ليقوى على القتال, وأن يلبس ما يشاء لأنه الخليفة فيقول لهم: ((إنما هي نفسي اروّضها بالتقوى, لتأتي آمنة يوم الخوف الأكبر, ولو شئت لاهتديت الطريق الى مصفى العسل ولباب القمح ونسيج القز, ولكن هيهات ان يغلبني هواي ويقودني جشعني الى تخيّر الأطعمة, ولعلّ بالحجاز أو اليمامة من لا يجد القرص(الرغيف) ولا عهد له بالشبع, أو أبيت مبطاناً (ممتلئ البطن) وحولي بطون غرثا(خالية) واكباد حرّى, أأقنع من نفسي بان يُقال عني أمير المؤمنين, ولا اشاركهم مكاره الدهر؟ او أكون أسوةً لهم في خشونة العيش, وقد كان رسول الله ε يأكل اخشن مما أكل ويلبس أخشن مما ألبس, وانا على سنته حتى ألحق به)) [٥٣] . ويدافع عن زهده وورعه قائلاً : ((إن الله أخذ على أئمة الهدى ان يكونوا في مثل ادنى أحوال الناس, ليقتدي بهم الغني ولا يزري بالفقير فقره, فو الله ما ضرب الله عباده بسوطٍ أوجع من الفقر غربة في الوطن, ولكني سمعت رسول الله ε يقول(والله ما الفقر اخشن عليكم, ولكن ان تفتح عليكم الدنيا فتنافسوها), والله لأن أبيت على حسك(الشوك الحاد)

مسهّداً, أو أُجرّ في الأغلال مصفداً, أحب إليَّ من ان القى الله ورسوله يوم القيامة, ظالماً لبعض العباد أو غاصباً لشيء من الحُطام(متع الدنيا) , وان لي في رسول الله ε الأُسوة)) [٥٤].

وقد سعى الإمام υإلى تضييق التفاوت المادي وتقليص الفوارق الاجتماعية, وإزالة كل ما يعيق إقامة العدل, ويدعو المحرومين الى الصبر وعدم الجزع بقوله: ((اشكر الله على ما أولاك, واحمده على ما أبلاك, وعوّد نفسك الصبر على المكروه, وأخلص في المسألة لربك, فأن بيده العطاء والحرمان)) [٥٥]

لقد كان الامام υ حريص على كرامة الانسان وصون حقوقه وضمان حرياته, فالناس عنده يولدون أحراراً, وهم متساوون في الكرامة ويتمتعون بجميع الحقوق والحريات, دونما تمييز بسبب العنصر أو اللون أو الجنس أو اللغة أو المعتقد [٥٦] , فهو القائل: ((إن آدم لم يلد عبداً ولا أمةً, وإن الناس كلهم أحراراً)) [٥٧] , وتضمن عهده الى مالك الاشتر [٥٨] واليّه على مصر مفاهيم إنسانية وقواعد اجتماعية نبيلة تدعو إلى احترام الناس والرفق بهم يقول : ((واشعر قلبك بالرحمة للرعية والمحبة لهم واللطف بهم, ولا تكونن عليهم سبعاً ضارياً تغتنم أكلهم, فإنهم صنفان, فأما أخٌ لك في الدين وأما نظيرٌ لك بالخلق)) [٥٩]

ولا فرق عنده بين المسلم وغير المسلم[٦٠] , فكلاهما انسان يجب صون حياته بالحق وعدم التعسف في كرامته, فليس للظلم دين أو عرق وتتضح هذه القاعدة في وصيته إلى أولاده بقوله: ((الله الله في ذمّة نبيكم, فلا يُظلمن بين أظهركم)) [٦١]. هذا هو صوت الإسلام الحقيقي النقي الأصيل الذي تتجسد فيه كل معاني العدل والرحمة.

المطلب الرابع: الفئات التي تستحق التكافل الاجتماعي

اكد الامام علي ابن ابي طالب υ على رعاية الصغار والايتام والارامل وكبار السن وتقديم المساعدات للفئات المحتاجة كالفقراء والمساكين والغرباء وأبناء السبيل وغيرهم من الأموال التي اوجبها على المسلمين من أموال الزكاة والاخماس والصدقات والكفارات والنذور وتوزيعها الى مستحقيها الذين حددهم الله تعالى (إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) [٦٢] .

١- كفالة الصغار والأيتام

كان للإمام علي ابن أبي طالب υ دور كبير وبارز في امر كفالة الأطفال والاهتمام بشؤونهم اذ كان يفرض العطاء للأطفال منذ ولادتهم حيث كان يفرض لكل مولود مائة درهم.

اما اليتيم وهو الذي مات أبيه ولم يبلغ[٦٣], فقد حظي بعناية الامام علي υ واهتمامه وشمله بالعطاء, وكان يؤكد على ضرورة الاحسان لليتيم قائلاً: ((وارحما اليتيم)) [٦٤] كما كان يكتب الى ولاة الامصار يحثهم على كفالة اليتيم, فقد كتب الى واليّه على مصر مالك الاشتر قائلاً له : ((وتعهد اهل اليتيم)) [٦٥].

٢- كفالة اللقيط

اللقيط هو الطفل المنبوذ الذي يوجد مرمياً على الطريق ولا يعرف ابويه[٦٦] وان التقاط المنبوذ واجب على رأي اغلب الفقهاء لما فيه من احياء النفس المسلمة [٦٧]

وقد أكد الامام علي υ على حرية اللقيط [٦٨]؛ اما من حيث النفقة فان الامام علي υ كان يفرض له من بيت المال [٦٩].

٣- كفالة كبار السن والارامل

أولى الإمام علي υ كبار السن اهتماماً كبيراً وذلك لضعفهم وعجزهم عن مزاولة العمل, وكان الامام يرعى بنفسه كبار السن فكان اذا لقي شيخاً مسناً حمل عنه حاجته [٧٠] , وجعل امر الانفاق على شيوخ اهل الذمة من بيت المال [٧١], وكان يحث ولاته على رعاية كبار السن وتحمل مؤونتهم وكفالتهم [٧٢]

أما فيما يتعلق بإعالة الأرامل فان الإمام كان حريص على رعاية الارامل وكفالتهن وضمان حقوقهن في بيت المال اذ كان يأمر ولاته بكفالة الارامل, فقد كتب الى عامله زياد ابن ابيه يؤكد فيه على حقوق الارامل في بيت المال وكفالة الدولة لهنَّ [٧٣]

٤- كفالة الأسر المتعففة

المتعففون هم أناس فقراء ربما لا يملكون شيئاً الا انهم مع ذلك يملكون عزة نفس وكرامة تمنعهم عن سؤال الناس.

وقد ابدى الامام علي υ اهتماماً متميزاً بالمتعففين وتقديم المساعدات لهم بنفسه, حيث في رواية جاء فيها ان الامام علي υ توجه الى منزله وبصحبته مولاه قنبر فأخرج قوصرة (ما يكنز فيه من تمر) وجراب دقيق , وشيئاً من الشحم والأرز والخبز, وحمله على كتفه الشريفة ليعطيه الى اسرة فقيرة [٧٤].

وكان يعهد الى مولاه قنبر بحمل دقيق وتمر وايصاله ليلاً الى بيوت يتعهد برعايتها[٧٥], وروى الامام الحسن بن علي (عليهما السلام) انه سمع انين مسكين يسكن في احدى خرائب الكوفة , فسأله عن حاله فقال : ((كان لي رجل يأتيني كل ليلة بما احتاجه من طعام وشراب وقد مضت ثلاث ليالي لا اراه يأتيني)). فقال له الامام الحسن υ : ((ذاك ابي وقد قتل في محرابه)) [٧٦].

٥- رعاية أصحاب العاهات

اهتم الإمام علي υ بكفالة هذه الفئة من أبناء المجتمع بالإنفاق عليهم وتحمل مؤونتهم وكان يوصي ولاته في الامصار برعاية أصحاب العاهات وكفالتهم وجعل لهم نصيب في أموال بيت المال فقد كتب الى عامله على مصر مال الاشتر قائلاً: ((الله الله في الطبقة السفلى من الذين لا حيلة لهم والمساكين المحتاجين واهل البؤس والزمنى(المعوقين), فان في هذه الطبقة قانعاً ومعتراً واحفظ الله ما

أستحفظك من حقه فيهم, واجعل لهم قسماً من بيت مالك وقسماً من غلات صوافي الإسلام في كل بلد, فان للأقصى منهم مثل الذي للأدنى, وكل قد استرعيت حقه, فلا يشغلنك عنه شاغل)) [٧٧].

وقد فرض الإمام علي υ العطاء لأهل الذمة من أصحاب العاهات وذلك عندما رأى ضرير من أهل الذمة وهو يسأل الحاجة فأمر الإمام υبأجراء العطاء عليه من بيت مال المسلمين قائلاً: ((استعملتموه حتى اذا كبر وعجز منعتموه, انفقوا عليه من بيت المال)) [٧٨].

٦- رعاية الفقراء والمحتاجين وابن السبيل

اكد الإمام علي υ على مساعدة الفقراء والمساكين, فكان يقوم بتوزيع الأموال الواردة على بيت المال جميعاً على الفئات المستحقة دون ان يبقي درهماً واحداً الى اليوم التالي [٧٩], حيث كان الامام يدخل بيت المال كل يوم جمعة, فأن رأى منه شيئاً قال : ((لا أرى هذا هنا وبالناس اليه حاجته)) فيأمر بتقسيمه كما كان يأمر بكنس البيت ثم يصلي ركعتين فيه ويقول: ((تشهدان لي يوم القيامة)) [٨٠].

وعرف عن الإمام υ انه كان يحمل الطعام الى فقراء الكوفة في جوف الليل[٨١], ويساعد المحتاجين الذين يقودون اليه بقصد المساعدة فيقدم اليهم ما يعينهم في سد حاجتهم من الأموال والكسوة[٨٢]. وقد باع بستاناً له في المدينة وفرق ثمنها على الفقراء.[٨٣]

وكان الإمام علي υ عندما يمر بالأسواق. يحث أصحاب المهن والاثرياء على مساعدة المساكين قائلاً لهم: ((يا أصحاب التمر اطعموا المساكين يربوا كسبكم)) [٨٤]

وقد أوصى الإمام علي υ أولاده على فعل الخير ومساعدة الفقراء والمساكين قائلاً:

((.....وارحموا اليتيم, واطعموا المسكين, واشبعوا الجائع, واكنفوا الضائع))[٨٥], كما كان يوصي عماله برعاية المساكين والمحتاجين والانفاق عليهم من بيت المال [٨٦] .

٧- رعاية الغارمين

تُعدّ مسالة الديون وقضائها عن المعسرين احدى اهم الوسائل التي اولاها الامام علي υ قدراً بالغاً من العناية والاهتمام لما لها من أهمية خاصة في حياة المسلمين, ويمكن ان نلحظ ذلك الاهتمام من خلال عمل الامام علي υ على بيع بستان له وأعطى ثمنه الى احد الاعراب ليعينه في سداد دينه [٨٧].

٨- رعاية الشواذ والمنحرفين

تبنى الإمام علي υ تقديم الرعاية لهذه الفئة الضالة عن الطريق السوي, ومحاولة انارة الطريق امامهم ليهتدوا الى الحق والعدالة, وحين تكفل مسؤولية رعاية المسجونين منهم لا سيما الفقراء ومساعدتهم على توفير الحاجات المعاشية الأساسية من بيت مال المسلمين فقد كان ((اذا حبس الرجل الداعر ينفق

عليه من ماله ان كان له مال, وان لم يكن له ذلك انفق عليه من بيت مال المسلمين)) [٨٨], وان النفقات التي تمنح للسجناء بوساطة ديوان خاص حيث تخرج اليهم الأعطيات الثابتة والمتساوية[٨٩].

الخاتمة

بعد الانتهاء من هذا البحث تبين لنا النتائج الاتية:

١- التكافل الاجتماعي مبدأ أساسي من مبادئ التشريع الإسلامي ولازم اكيد من لوازم الاخوة الايمانية, ترتقي من خلاله المشاعر الايمانية, ليقوم افراد المجتمع بواجباتهم تجاه بعضهم بعضاً, ويتضامن أبناء المجتمع, لاتخاذ مواقف إيجابية تصبُّ في مصلحة المجتمع, وتجلب له الخير والسعادة والاستقرار, ومقاومة كل ما يخلُّ بسعادة واستقرار وكفاية المجتمع مما لا ينسجم مع ما امرنا الله تعالى به من التعاون على فعل الخيرات والعمل الصالح.

٢- إن ممارسات التكافل الاجتماعي طبقت في الإسلام في الجانبين المادي والمعنوي.

٣- حرص الإمام علي υ على تحقيق التكافل الاجتماعي باعتباره ضمانة لحقوق الانسان وحريته وكرامته.

٤- ان خلافة الامام علي υ قامت بالأساس من اجل تحقيق العدل والمساواة, فقد امتدت رعايته وكفالته لمختلف فئات المجتمع العربي الإسلامي ابتداءً من الطفل الذي فرض له العطاء؛ اذ عمد الامام الى تقسيم الأموال الواردة الى الدولة في بيت المال على الفئات المستحقة.

الهوامش:

١- الفراهيدي,العين,ج٥,ص٣٧٣, الازهري, تهذيب اللغة؛ ج١٠,ص٢٥٤. ابن منظور, لسان العرب؛ج٥,ص٤٢٢

٢- سورة الحديد, الآية ٢٨

٣- سورة النساء, الآية ٨٥

٤- سورة آل عمران, آية ٣٧

٥- سورة آل عمران, آية ٤٤

٦- التكافل الاجتماعي في الإسلام, ص٧

٧- التكافل الاجتماعي في الإسلام, ص١٩

٨- سورة البقرة, آية ٢١٥

٩- سورة طه, آية ١٢

١٠- سورة القصص, آية ١٢

١١- سورة ص, آية ٢٣

١٢- سورة المائدة, اية ٢

١٣- سورة البقرة, آية ١٧٧

١٤- سورة الاسراء, آية ٢٦

١٥- سورة التوبة, آية ٧١

١٦- سورة الانسان, آية ٨

١٧- الفيء: هو ما حصل للمسلمين من أموال الكافر من غير حرب ولا جهاد: ينظر ابن الاثير, النهاية في غريب الحديث, ج٣,ص٤٨٢

١٨- سورة الحشر, آية ٧

١٩- احمد بن حنبل, مسند احمد بن حنبل,ج٢,ص٣٧٥

٢٠- ابن ماجة, سنن ابن ماجة, ج٧,ص٢٨٠

٢١- الحاكم النيسابوري, المستدرك على الصحيحين, ج١,ص١٦

٢٢- احمد بن حنبل ,مسند احمد بن حنبل,ج٢,ص٤٣٩

٢٣- المصدر نفسه, ج٣,ص٩٧

٢٤- ابن قدامة, الشرح الكبير,ج١٠,ص٤٩٨

٢٥- الصدوق, الامالي,ص٥١٧

٢٦- البخاري, الادب المفرد,ص٨٣

٢٧- احمد بن حنبل, مسند احمد بن حنبل, ج١,ص٥

٢٨- المصدر نفسه,ج٢,ص١٩٦

٢٩- اشتراكية الإسلام,ص١٨٣-١٨٤

٣٠- السباعي, اشتراكية الإسلام, ص١٨٢

٣١- سورة التوبة , آية ٧١

٣٢- مسلم, صحيح مسلم, ج١,ص٥٠

٣٣- السباعي , اشتراكية الإسلام, ص١٧٩

٣٤- المصدر نفسه, ص١٨٣

٣٥- السباعي, اشتراكية الإسلام,ص١٨٠

٣٦- سورة التوبة, آية ٤١

٣٧- النبهان, الاتجاه الجماعي, ص٣٢٦, السباعي, اشتراكية الإسلام, ص١٨١

٣٨- السباعي, اشتراكية الإسلام, ص١٧٩

٣٩- ابن ماجة, سنن ابن ماجة, ج١,ص٨٣

٤٠- ابن ابي الحديد, شرح نهج البلاغة, ج٩, ص١٤

٤١- المنقري, وقعة صفين, ص٢١٧

٤٢- محمد عبده, شرح نهج البلاغة, ج٣, ص٨٠

٤٣- ابن سلامة, دستور معالم الحكم,ص١٤٨-١٤٩

٤٤- الطبري, تاريخ الرسل والملوك,ج٤,ص٤٠٦

٤٥- محمد عبده, شرح نهج البلاغة, ج٣,ص٢١٥

٤٦- ابن ابي الحديد, شرح نهج البلاغة, ج٤,ص٧٨

٤٧- ابن ابي الحديد, شرح نهج البلاغة, ج٤,ص٧٨

٤٨- محمد عبده, شرح نهج البلاغة, ج٢, ص١٥٠-١٥١

٤٩- الإمام علي ابن ابي طالب υ , نهج البلاغة,ج٣,ص١٠١

٥٠- محمد عبده, شرح نهج البلاغة,ج٣,ص١٢٢

٥١- المصدر نفسه,ج٣, ص٧٨

٥٢- محمد عبده, شرح نهج البلاغة,ج٣.ص٦٦-٦٧

٥٣- المصدر نفسه , شرح نهج البلاغة ,ج٣, ص٧٢

٥٤- المصدر نفسه,ج٢.ص٢١٦ وج٤,ص٤١

٥٥- ابن سلامة, دستور معالم الحكم, ص٦٩

٥٦- الإعلان العالمي لحقوق الانسان,١٠/١٢/١٩٤٨

٥٧- ابن ابي الحديد, شرح نهج البلاغة,ج١٠,ص٢٣٢

٥٨- مالك الاشتر: هو مالك بن الحارث بن عبد يغوث بن سلمة النخعي, شهد اليرموك وغيرها,نزل الكوفة وولاه الامام علي υ مصر فمات قبل ان يدخلها سنة ٣٧هـ. ابن حجر, تهذيب التهذيب,ج١٠,ص١١-١٢

٥٩- محمد عبده, شرح نهج البلاغة,ج٣,ص١٠٧-١٠٨

٦٠- الطبري, تاريخ الرسل والملوك,ج٦, ص١٨٤

٦١- المصدر نفسه,ج٦, ص١٨٤

٦٢- سورة التوبة, الاية ٦٠

٦٣- أبو عبيد, الأموال, ص٣٣٩

٦٤- الفيروزابادي, القاموس المحيط ,ج٤, ص١٩٣

٦٥- ابن ابي الحديد, شرح نهج البلاغة, ج٣, ص٨٨

٦٦- ابن منظور, لسان العرب, ج٥,ص١٠٢, و ج٧,ص٣٩٢

٦٧- الشربيني, مغني المحتاج, ج٤,ص٢١٠

٦٨- الكاساني, بدائع الصنائع, ج٦, ص١٩٨

٦٩- أبو عبيد, الأموال, ص٣٣٩

٧٠- خالد , خلفاء الرسول ε ,ص٥٥٧

٧١- الحر العاملي, وسائل الشيعة في تحصيل الشريعة, ج١٥, ص٦٦

٧٢- ابن ابي الحديد, شرح نهج البلاغة, ج١٧, ص٨٦

٧٣- المصدر نفسه, ج١٦,ص١٩٧

٧٤- الحلي, كشف اليقين, ص١١٥-١١٦

٧٥- الزمخشري, ربيع الابرار, ج٢, ص٤٩

٧٦- الاربلي, كشف الغمة في معرفة الائمة, ج١, ص٢٧٥

٧٧- الامام علي ابن ابي طالب υ, نهج البلاغة, ج٣, ص١٠١

٧٨- الطوسي, تهذيب الاحكام, ج٦, ص٢٩٣

٧٩- ابن عساكر, تاريخ مدينة دمشق, ج٤٢,ص٤٧٨

٨٠- محب الدين الطبري, الرياض النضرة, ج٢,ص٣٠٥

٨١- الاربلي, كشف الغمة في معرفة الائمة,ج٣,ص٦٥

٨٢- البلاذري, انساب الاشراف, ج٢,ص١٤١

٨٣- الديلمي,ارشاد القلوب, ج٢, ص٢٢١

٨٤- الخوارزمي, المناقب, ص١٢١

٨٥- ابن اعثم الكوفي, كتاب الفتوح, ج٤, ص١٤٢

٨٦- ابن شهر آشوب, المناقب, ج٣,ص٢٩٣

٨٧- المجلسي, بحار الانوار, ج٤١,ص٤٤

٨٨- أبو يوسف, الخراج, ص١٧٨

٨٩- المصدر نفسه, ص١٧٩-١٨٠

المصادر والمراجع :

أولاً – المصادر

١- القرآن الكريم

٢- ابن الاثير, أبو الحسن علي ابن ابي الكرم الجزري(ت٦٣٠هـ/١٢٣٢م)
النهاية في غريب الحديث, تحقيق احمد الزاوي وآخرون, قم,(د.ت)

٣- احمد بن حنبل, (ت ٢٤١هـ/٨٥٥م)
مسند احمد بن حنبل, دار صادر, بيروت,(د.ت)

٤- الاربلي, علي بن عيسى ابن ابي الفتح(ت٦٩٣هـ/١٢٩٣م)
كشف الغمة في معرفة الائمة, دار الأضواء للطباعة, بيروت ,١٩٨٥

٥- الازهري, أبو منصور احمد بن محمد (ت ٣٧٠هـ/٩٨٠م)
تهذيب اللغة, القاهرة, بيروت(د.ت)

٦- ابن اعثم الكوفي, أبو محمد احمد (ت ٣١٤هـ/٩٢٦م)
كتاب الفتوح ,الهند,١٩٧١

٧- البخاري, أبو عبد الله محمد بن إسماعيل (ت٢٥٦هـ/٨٦٩م)
الأدب المفرد, تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ,بيروت,(د.ت)

٨- البلاذري, أبو الحسن احمد بن يحيى(ت٢٧٩هـ/٨٩٣م)
انساب الأشراف, تحقيق محمد حميد الله , مصر,١٩٥٩

٩- الحاكم النيسابوري, محمد بن محمد(ت ٤٠٥هـ/١٠١٤م)
المستدرك على الصحيحين, بيروت ١٤٠٦هـ.

١٠- ابن حجر , شهاب الدين ابي الفضل احمد بن علي(ت٨٥٢هـ/ ١٤٤٨م)
تهذيب التهذيب, دار صادر, بيروت,(د.ت)

١١- الخوارزمي, الموفق بن احمد بن محمد المكي(ت٥٦٨هـ/١١٧٢م)
المناقب, تحقيق مالك المحمودي, قم, ١٤١١هـ.

١٢- الديلمي, أبو علي الحسن ابن ابي الحسن(ت ٨٤١هـ/١٤٣٧م)
ارشاد القلوب,قم,١٩٩٢م.

١٣- الزمخشري, أبو القاسم محمد بن عمر(ت٥٣٨هـ/١١٤٣م)
ربيع الابرار ونصوص,بغداد,١٩٨٢

١٤- ابن سلامة, محمد بن سلامة بن جعفر القضاعي (ت٤٥٤هـ /١٠٣٣م)
دستور معالم الحكم ومأثور مكارم الشيم, المكتبة الازهرية, ١٣٣٢هـ.

١٥- الشربيني, محمد الشربيني,(ت٩٧٧هـ/١٥٦٩م)
مغني المحتاج,بيروت,١٩٥٨م

١٦- ابن شهر اشوب,محمد بن علي(ت٥٨٨هـ/١١٩٢م)
مناقب آل ابي طالب, النجف,١٩٥٦م

١٧- الصدوق, محمد بن علي بن الحسن(ت٢٨١هـ/٨٩٤م)
الامالي, تحقيق قسم الدراسات الإسلامية,قم,١٤١٧هـ.

١٨- الطبري, محمد بن جرير(ت٣١٠هـ/٩٢٢م)
تاريخ الرسل والملوك,القاهرة,١٩٧٧م.

١٩- الطوسي, أبو جعفر محمد بن الحسن(ت٤٦٠هـ/١٠٧٠م)

تهذيب الاحكام , قم,(د.ت)
٢٠- أبو عبيد, القاسم بن سلام(ت ٢٢٤هـ/٨٣٨م)
الأموال,القاهرة,١٩٦٨
٢١- ابن عساكر, أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة(ت٥٧١هـ/١١٧٥م)
تاريخ مدينة دمشق, بيروت,١٤١٥هـ
٢٢- الفيروزأبادي, أبو طاهر محمد بن يعقوب(ت٨١٧هـ/١٤١٥م)
القاموس المحيط, دار الفكر, بيروت,١٩٨٣م
٢٣- ابن قدامة, عبد الرحمن(ت ٦٨٢هـ/ ١٢٨٣م)
الشرح الكبير, بيروت,(د.ت)
٢٤- الكاساني, أبي بكر بن مسعود(ت ٥٨٧هـ/ ١١٩١م)
بدائع الضائع, باكستان,١٤٠٩هـ
٢٥- ابن ماجة, أبي عبد الله محمد بن يزيد(ت٢٧٥هـ/ ٨٨٨م)
سنن ابن ماجة, بيروت,(د.ت).
٢٦- محب الدين الطبري, أبو العباس احمد بن عبد الله(ت٦٩٤هـ/١٢٩٤م)
الرياض النضرة في مناقب العشرة, القاهرة,١٥٥٣هـ
٢٧- مسلم, أبي الحسن مسلم بن الحجاج(ت ٢٦١هـ/٨٧٤م)
صحيح مسلم, دار الفكر للطباعة, بيروت,(د.ت)
٢٨- ابن منظور, جمال الدين محمد بن كرم (ت٧١١هـ/١٣١١م)
لسان العرب المحيط, بيروت,١١٩٣م
٢٩- المنقري, نصر بن مزاحم(ت٢١٢هـ/ ٨٢٧م)
وقعة صفين, القاهرة,١٩٦٢
٣٠- أبو يوسف, يعقوب بن إبراهيم الانصاري, (ت١٨٢هـ/ ٧٩٨م)
الخراج, القاهرة,١٩٢٧.

ثانياً- المراجع:

٣١- الحر العاملي, محمد بن الحسين بن علي(ت١١٠٤هـ/١٦٩٢م)
وسائل الشيعة في تحصيل الشريعة, قم,١٤١٤هـ.
٣٢- خالد, خالد محمد
خلفاء الرسول ε ,بيروت, ١٩٧٤
٣٣- أبو زهرة, محمد
التكافل الاجتماعي في الإسلام, القاهرة, ١٩٦٤
٣٤- السباعي, مصطفى
اشتراكية الإسلام, دمشق, ١٩٩٦
٣٥- المجلسي, محمد باقر محمد تقي(١١١١هـ/١٧٠٠م)
بحار الانوار, بيروت,١٩٨٣
٣٦- النبهان, د. محمد فاروق
الاتجاه الاجتماعي في التشريع الاقتصادي الإسلامي, بيروت ١٩٧٠